International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)

المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب

Vol. (2), No. (10)

الإصدار (2)، العدد (10)

December 2023

"العلاقات العباسية البيزنطية في عصر السلاجقة"

"Abbasid-Byzantine Relations during the Seljuk Era"

سلوى التجاني فضل جبر الله

Salwa Eltejani Gebrallah

أستاذ مساعد، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية

sgebrallah@kku.edu.sa

مستخلص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز صورة واضحة عن العلاقات العباسية البيزنطية في عصر السلاجقة ومعرفة الملامح التاريخية الأولي لهذه العلاقات بين الدولتين.

تتلخص أهداف دراسة البحث في التعرف على أصل السلاجقة ونسبهم، والوقوف على طبيعة العلاقات بين السلاجقة والدولة البيزنطية، وكذلك بيان أهم المعارك العسكرية بين الدولتين وأهم نتائجها، بالإضافة إلى توضيح القوة العسكرية لدولة السلاجقة وكيفية الإعداد والترتيب العسكري.

أهمية البحث تتضمن نقاط عديدة تتمثل في تركيزه على إبراز الجانب السياسي في علاقة دولة السلاجقة بالدولة البيزنطية، والتعرف على ظهور السلاجقة كقوة عسكرية كبرى كان لها دور كبير في تغيير الأوضاع السياسية على الصعيد الداخلي للدولة العباسية، والخارجي بالنسبة للدولة البيزنطية والحد من نفوذها السياسي والعسكري.

أعتمد البحث على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي وكذلك قائمة من المصادر والمراجع، وخلصت الدراسة على نتائج منها التأكيد على دراسة جانب مهم في علاقات دولة السلاجقة الخارجية مع قوة هامة عاصرتها ألا وهي الدولة البيزنطية التي كانت تمثل إحدى دول العالم الكبرى، كما أوضحت الدراسة جوانب مهمة في تاريخ الدولتين، كذلك من النتائج يتضح أن العلاقات بين الدولتين لم تكن حربية عدائية، بل سلمية وودية أحياناً أخرى.

E-ISSN 2976-7237

https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n10p2

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)

المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب

Vol. (2), No. (10)

الإصدار (2)، العدد (10)

December 2023

أهم التوصيات تتضمن الاهتمام بدراسات العلاقات الخارجية لدولة السلاجقة وأهمية دراسة التاريخ الاقتصادي والتجاري والاجتماعي لدولة السلاجقة للوقوف على دورهم ومدى إسهامهم الحصاري الكبير في تطور تاريخ الدولة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: العلاقات العباسية البيزنطية، دولة السلاجقة، الدولة العباسية، الدولة البيزنطية.

Abstract

This study aims to highlight the Abbasid-Byzantine relations during the Seljuk era and to identify the early historical features of the political relations between the two countries. The study also aims to identify the origin and lineage of the Seljuks and determine the nature of the relationship between the Seljuks and the Byzantine state. In addition, it tackles the most important military battles between the two states and their most important results. In addition, to know the military power of the Seljuk state and how they prepare and arrange their military forces.

The importance of this study comprises the political relations of the Seljuk state with the Byzantine state, the emergence of the Seljuks as a main military force that had a major role in changing the interior political situation of the Abbasid state and limited the political and military influence of the Byzantine state,

This study relied on historical, descriptive, and analytical methods as well as a list of historical sources and references. The results demonstrate the important aspect of the exterior relations of the Seljuk state and the importance of Byzantine state power, which represented one of the major global states at that time. The study also clarifies the important aspects of the history of the two states. The results also show that the relation between the two states was not always belligerent and hostile, but rather peaceful and friendly sometimes.

E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n10p2

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)

المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب

Vol. (2), No. (10)

الإصدار (2)، العدد (10)

December 2023

The most important recommendations include the interest in studying the foreign relations of the Seljuk state. Besides, the importance of studying the economic, commercial and social history of the Seljuk state to determine their role and the extent of their great civilizational contribution in the development of the history of the Islamic state.

Keywords: Abbasid-Byzantine Relations, Seljuk State, Abbasid State, Byzantine State.

مقدمة

كانت الظاهرة الحضارية المهمة التي ميزت الشرق الإسلامي في الفترة موضوع الدراسة هي ظهور الأتراك السلاجقة كقوة عسكرية جديدة أصبح لها من القوة والنفوذ ما غير الأوضاع السياسية من أساسها لا في الشرق فحسب وإنما امتد هذا التغيير ليشمل الخلافة العباسية ويؤثر في بلاد الشام وفلسطين ومصر، كما اتسع نطاق هذا التغيير ليمس الدولة البيزنطية ويحدد نفوذها السياسي والعسكري.

مثل ظهور دولة السلاجقة بوصفهم قوة أو دولة مستقلة في المشرق نقطة تحول بالغة الأهمية في تاريخ الدولة الإسلامية جميعه، كما انه الدور الذي كان مقدراً للسلاجقة أن يقوموا به وشكل سير العلاقات بين القوى العظمى في العالم في ذلك الوقت.

نسبهم وموطنهم الأول

ينسب السلاجقة إلى زعيمهم الأول سلجوق بن دقاق وهم إحدى القبائل التركية التي تعرف باسم القنق بتركستان [1] غير إنه أطلق عليهم ألقاب أخرى مثل التركمان، الأتراك، الأتراك القز [2] إلا أن لقب السلاجقة هو الذي غلب عليهم بعد هجرتهم بقيادة زعيمهم الأول سلجوق بن دقاق قادماً بهم من بلاد التركستان إلى

(1) تركستان، اسم جامع لبلاد الترك ما بين الصين والتبت إلى فارب من ناحية بلاد المسلمين

(2) انظر كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار العلم للملابيت2005- ص (271-272)

IJESA, VSRP Publishing, UK
https://ijesa.vsrp.co.uk

E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n10p2

ما وراء النهر[1]واستقروا ما بين بخاري وجند في أواخر القرن الرابع الهجري (حوالي375هـ) وأقاموا بين السامانيين واعتنقوا الإسلام بمجرد استقرارهم بينهم ثم توالت الجماعات التركية تهاجر فتنضم إليهم وتقيم معهم.

وقد وردت عدة روايات في سبب هجرتهم من موطنهم الأصلي تركستان إلى ما وراء النهر، منها أن جدهم دقاق، كان رجلاً عالي الهمة نال منزلة رفيعة عند ملوك الترك، فأنعم عليه وسلمه قيادة جيش الترك ولقبه سوباشي (قائد الجيش) ,فأراد ملك الترك بيغو أن يغزو بلاد الإسلام فعارضه دقاق، فعاقبه بالسجن وأقام مكانه على قيادة الجيش ابنه سلجوق بن دقاق، ثم أحس سلجوق بعد ذلك بمؤامرة ملك الترك عليه للتخلص منه فجمع أنصاره وعشيرته من التركمان وهاجر بهم من تركستان إلى ديار المسلمين فيما وراء النهر وأقام بهم ما بين بخاري وجند[2].

ويرى بعض المؤرخين أن رحيل سلجوق وعشيرته ومؤيديه من التركمان تم بسبب الظروف الاقتصادية القاسية التي كانوا يعانون منها، لضيق المراعي، فرحلوا بحثاً عن مساقط المياه وجودة المراعي لسكانهم واستقرارهم [3] ويرى ابن الأثير أن دقاق ومن بعده ابنه سلجوق كانوا ميالين إلى الإسلام قبل الهجرة السلجوقية فتمت الهجرة لذلك وليس لضيق العيش أو غيره كما ذكر بعض المؤرخون[4] وعلل أرمينوس فاميري هذه الهجرة قائلاً أن ملك الترك هو الذي طرد سلجوق وجماعته لجرائم ارتكبوها فاضطروا إلى الرحيل إلى مشارق جند وأقاموا فيها.

ومما تقدم يمكن القول إن هذه الأسباب مجتمعة كانت وراء رحيلهم واستقرارهم بين المسلمين وربما أن فقدان الثقة بين سلجوق وملك الترك هو الذي دفع سلجوق إلى الرحيل لما فعل بأبيه دقاق، فاختار ديار الإسلام نكاية بملك الترك وحباً في سماحة الإسلام والمسلمين وإمكانية العيش معهم بسلام وأمان. عاش السلاجقة حياة متنقلة ما بين بخاري وسمرقند حتى وفاة زعيمهم سلجوق بن دقاق في منطقة جند، وترك

(1) ما وراء النهر يقصد به نهر جيحون الذي ينبع من بلاد الترك ويصب في بحيرة خوارزم بخراسان فما كان في شرقية يقال له بلاد الهياطلة، وما كان في غربية خراسان وولاية بخاري من أعظم مدن ما وراء النهر وكانت قاعدة ملك السامانيين، جند: مدينة عظيمة في مدن تركستان قرب نهر سيحون، انظر ياقوت المحمدي (شهاب الدين أبو عبد الله ت/626هـ /229م، معجم البلدان، دار احياء التراث العربي 1957، ص168

(2) عبد المنعم حسنين، مرجع سابق، ص16-19

(3) المرجع نفسه، ص17

(4) أرمينوس فامبري، تاريخ بخاري، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة ،1965، ص127

IJESA, VSRP Publishing, UK
https://ijesa.vsrp.co.uk
E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n10p2

وراءه أربعة أبناء وهم أرسلان بيغو ويلقب بإسرائيل وكان أكبرهم سناً فتزعم قيادة السلاجقة بعد أبيه سلجوق[1]. وميكائيل وموسى، ويونس، وقد اتفق هؤلاء الإخوة على التكاتف والتعاون في سبيل تحقيق الاستقرار والحماية للدولة.

السلاجقة ومحمود الغزنوي

أدرك السلطان محمود الغزنوي خطر السلاجقة وتحركاتهم لذلك لجأ إلى الخدعة السياسية ولم يلجأ للحرب حيث دعا زعيم السلاجقة إسرائيل إلى عقد حلف بينهما اعتقله مع حاشيته في قلعة نائية بالهند حيث مات فيها سنة 422هـ/1030م[2].

لقد فضل السلاجقة عدم المجابهة العسكرية مع السلطان محمود الغزنوي والتمس زعيما السلاجقة الجديدان جغري بك و طغرل بك من السلطان بان يسمح لهم بالهجرة السلمية عبر نهر جيحون إلى إقليم خراسان وتم هذا في سنة 426هـ/1034م وكانت هذه خطوة كبيرة في تاريخ المشرق الإسلامي حيث قرر زعيم السلاجقة القضاء على الدولة الغزنوية في خراسان وما وراء النهر ، وكانت معركة سرخس429هـ/1037م التي هزم فيها السلطان مسعود الغزنوي وكان من نتائجها أولاً بسط السلاجقة سيطرتهم على خراسان ثانياً توحيد قيادتهم تحت زعامة طغرل بن ميكائيل بن سلجوق ثالثاً إعلان قيام دولتهم أو كيانهم السياسي و مركزه نيسابور.

وكان لابد من رد فعل السلطان مسعود الغزنوي فقد جهز جيشاً كثيفاً وخرج بنفسه للقاء متحدياً طغرل بك ولكن السلاجقة ألحقوا به هزيمة حاسمة في موقعة دندانقان (Dandanagan) سنة431هـ/1039م وكان لها نتائج حاسمة ومهمة في تاريخ السلاجقة حيث أنهت النزاع الغزنوي، السلجوقي في صالح الطرف الثاني من جهة، ومن جهة أخرى فقد آن الأوان لطغرل بك أن يرسل الخليفة العباسي القائم بأمر الله لإضفاء الصفة الشرعية على النفوذ السلجوقي واعترف الخليفة بذلك عام 432هـ /1040م.

الواقع أن الخليفة العباسي كان يعاني من تدهور الوضع الأمني والإداري في العراق بسبب تدهور الحكم البويهي فطلب من طغرل بك المجيء إلى بغداد ووجد فيه المنقذ من البويهيين.

(1) أرشيد يوسف، سلاجقة الشام والجزيرة في الفترة ما بين (570،435هـ)، دائرة المكتبات والوثائق الوطنية، عمان ،1985، ص16

(2) أرشيد يوسف، مرجع سابق، ص 176.

IJESA, VSRP Publishing, UK
https://ijesa.vsrp.co.uk
E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n10p2

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)

المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب

Vol. (2), No. (10)

الإصدار (2)، العدد (10)

December 2023

إلا أن السلطان السلجوقي كان عليه أن يحكم قبضته أولاً على إقليم بلاد فارس واستغرقت هذه العملية أكثر من عشر سنوات أي حتى 446هـ/1054م حيث سيطرو على طبرستان وجرجان وخوارزم ثم أذربيجان وأقاليم بلاد فارس الغربية وبدأ في التوغل والجهاد داخل أراضي الدولة البيزنطية[1]. مما أكسب السلاجقة تأييداً كبيراً وسمعة حسنة بين الشعوب التي كانت في الماضي ترى وتسمع عن غطرسة الروم وتنادي بضرورة المجابهة.

السلاجقة والبيزنطيون

لم تتعرض الدولة البيزنطية لغارات خطيرة من جانب السلاجقة إلا في عهد الإمبراطور قسطنطين التاسع مونوماخوس (74هـ/1024م- 447هـ/1055) ففي سنة 440هـ/1048م أغار إبراهيم نيال أخو طغرل بك من أمه على أقاليم الدولة البيزنطية وخاصة أيبريا والإبخاز وطرابزون وارزن الروم؛ وكانت بينهم عدة وقائع تارة يظفر هؤلاء؛ وتارة هؤلاء وكان آخر الأمر الظفر للمسلمين فحققوا انتصارات باهرة وأسروا جماعة كثيرة من بطارقتهم وممن أسر قاريط ملك الإبخاز فبذل في نفسه ثلاثمائة ألف دينار وهدايا بمائة ألف فلم يجبه إلى ذلك. وبجانب استيلاء المسلمون على تلك النواحي فإنهم نهبوا وغنموا ما فيها، وسبوا أكثر من مائة ألف رأس وأخذوا من الدواب والبغال والغنائم والأموال ما لا يقع عليه الإحصاء؛ وقيل إن الغنائم حملت على عشرة آلاف عجلة. وأن في جملة الغنيمة تسعة عشر ألف درع[2].

في سنة (441هـ/ 1049م) دارت المفاوضات بين الإمبراطور البيزنطي وزعيم السلاجقة طغرل بك الذي أطلق سراح ملك الابخاز في مقابل تعمير البيزنطيين لجامع في القسطنطينية؛ اجتمعت فيه الصلاة والخطبة لطغرل بك[3] وفي سنة (443هـ/ 1051م) أرسل طغرل بك إلى الإمبراطور قسطنطين التاسع رسولاً يستأذنون في السير إلى مصر عن طريق بلاد الشام. واعتذر الإمبراطور البيزنطي عن الاستجابة لطلب طغرل بك موضحاً له مدى المودة التي بينه وبين الخليفة الفاطمي المنتصر بالله: (وإنه لا يرخص في أذيته)[4].

والحقيقة أن علاقة الدولة البيزنطية بالخلافة الفاطمية في ذلك الوقت علاقة وثيقة وطيدة ومن الأدلة على ذلك أنه عندما حدثت الشدة المستنصرية بمصر، أرسل الخليفة الفاطمي المستنصر بالله سنة ٤٤٦ هـ/

(1) عبد المنعم حسنين، مرجع سابق، ص24-29.

(2) السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية323هـ ،1081م، دار النهضة العربية ،1960، ص738-739.

(3) ابن الأثير، (عز الدين ابو الحسن على ابن ابي الكرم ت630هـ ،1232م الكامل في التاريخ، دار صادر ببيروت ص556-557

(4) المقريزي (أحمد بن علي) ألفاظ الحنفاء بإخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج2، تحقيق محمد حلمي، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة ،1971، ص214.

IJESA, VSRP Publishing, UK

E-ISSN 2976-7237

https://ijesa.vsrp.co.uk

https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n10p2

١٠٥٤ م طالباً من الإمبراطور قسطنطين التاسع مونا ماس خوس تزويد مصر بأربعمائة ألف أردب قمح لمواجهة القحط الذي أصاب بلادها، وعزم الإمبراطور البيزنطي على إرسال الشحنة لمصر لولا أنه مات[1]. في عهد الإمبراطورة ثيودورا آخر أباطرة الأسرة المقدونية سنة ١٠٥٥ م اشترطت على الخليفة المستنصر بالله لمده بالقمح أن يساعدها ويمدها بعساكر مصر إذا ثار عليها أحد، وجرت بينهما وبين الخليفة اتصالات يبدو أن الغرض منها عقد معاهدة بينهما يتعهد فيها الخليفة الفاطمي بتقديم العون والمساعدة ضد أي عدوان تتعرض له الدولة البيزنطية.

ومن الواضح أن المعاهدة كانت موجهة ضد السلاجقة الذين ازداد خطرهم على بيزنطة ورفض المستنصر بالله التورط في النزاع البيزنطي، السلجوقي وأوقفت بالتالي الإمبراطورة ثيودورا إرسال شحنة القمح إلى مصر، ونشب الخلاف بين الدولتين، آخره إرسال البيزنطيين حملة بحريه هزمتهم سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥م[2]. ويبدو أن أخبار هذه الاتصالات البيزنطية، الفاطمية وصلت إلى السلاجقة بدليل أنه في سنة ٤٤٦ هـ /١٠٥٥م قاد طغر ل بك بنفسه حملة حربية إلى الأراضي البيزنطية ونهبت عساكره الأقاليم الواقعة بين بحيرة وأن وأرزن الروم، وحاصر ملا ذكرت وهي للبيزنطيين وضيق على أهلها ونهب ما جاورها من البلاد وخربها دون الاستيلاء عليها لعدم استطاعته لحصانتها [3]. كان الخليفة العباسي القائم بأمر الله قد أرسل رسولاً من قبله إلى طغرل بك بدعوة للحضور إليه في بغداد، وكانت الخلافة العباسية وقتذاك في حالة يرثى لها من الضعف والانهيار لتسلط البويهيين الشيعة في الوقت الذي زادت فيه قوة قائد الجند الأتراك البسا سيري ولبى طغرل بك دعوة الخليفة كما ذكرت سابقا. واستقبل طغرل بك في بغداد استقبالاً رائعاً وأمر الخليفة العباسي القائم بأمر الله بإسقاط اسم الملك الرحيم فانتهت دولة بني بوية وهرب البسا سيري وتم إحياء الخلافة العباسية، وقام الخليفة العباسي بإطلاق يد طغرل بك في الحل والعقد، والحبس والإطلاق، وعدل عليه وفرض إليه النظر في العراق [4]. أدركت الدولة البيزنطية قوة وخطر السلاجقة وبخاصة بعد دخولهم بغداد. وفي سنة ٤٧ ٤ هـ استقبلت الإمبراطورة ثيودورا مبعوث السلطان السلجوقي طغرل بك، وسمحت بإقامة الخطبة للخليفة

(1) حسنين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة،1983، ص182

(2) المقريزي (تقي الدين ابو العباس أحمد بن علي ت/845هـ ،2441، اسحبوا نمطو الاعتبار في ذكر الخطط والأثار ج2، مطبعة بولاق القاهرة 1270هـ، 1835م

(3) ابن الاثير، مصدر سابق، جـ 9، ص599

(4) المقريزي: مصدر سابق ج2، ص230

IJESA, VSRP Publishing, UK
https://ijesa.vsrp.co.uk
E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n10p2

العباسي والسلطان السلجوقي في جامع القسطنطينية [1]. توفي طغرل بك سنة ٤٥٥ هـ /١٠٦٣م وبدأ نزاع قصير المدى بين السلاجقة انتهى بدخول إلب أرسلان ابن أخ طغرل بك مدينة الري سنة ٤٥٦ هـ/ أواخر سنة ١٠٦٣ م وكان قد انتهج سياسة جديدة لا تقتصر الغزو والإغارة على أراضي الدولة البيزنطية، بل ترمي إلى امتلاك أراض جديدة للاستقرار فيها وتولى عرش الإمبراطورية البيزنطية في ذلك الوقت الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع دايوجينس (١٠٦٨ / ١٠٧١م) الذي اهتم بالأحوال العامة للدولة، وخاصة إعادة تنظيم الجيش البيزنطي فقد كانت الظروف المحيطة بدولته تحتم عليه ذلك.

وكانت سياسة الإمبراطور رومانس الرابع تهدف إلى استعادة أراضي الدولة البيزنطية التي تقلصت وتملكها السلاجقة خاصة منطقة الأناضول فكانت مهمته خطرة [2].

في سنة ١٠٦٣ م قام ألب أرسلان بحملة كبيرة في بلاد القوقاز (أذربيجان) ووطد عزمه على قتال البيزنطيين وغزوهم وسار إلى بلاد الكرج فهاجم عدة حصون بيزنطية، وتوج انتصاراته بفتح مدينة آني حاضرة إقليم أرمينيا، وهي مدينة محصنة ذات موقع استراتيجي مهم، وباستيلاء السلاجقة على هذه المدينة سيطروا على هضبة أرمينية التي كانت تعتبر بمثابة الدرع الواقي للدولة البيزنطية من الشرق لموقعها وصعوبة مسالكها.

عندما اشتدت غارات السلاجقة على أقاليم الدولة البيزنطية حاول الإمبراطور البيزنطي رمانوس Diegenes Romanus الرابع وقف الزحف السلجوقي وسد المنافذ أمامه. وكان السلاجقة ينفذون إلى داخل الدولة البيزنطية ويخرجون منها من ثلاث مناطق هي: ثغور شمال بلاد الشام، وثغور أعالي الجزيرة، وبلاد أرمينية. لهذا وضع رومانوس الرابع خطة تستهدف إغلاق هذه المنافذ على ثلاث مراحل وقام الإمبراطور رومانوس الرابع بقيادة ثلاث حملات على بلاد الشام وأعالي الجزيرة وحدود أرمينيا وذلك في السنوات ٤٦١هـ - ٤٦٣ هـ ،1068-1071م.

(1) ابن الأثير، مصدر سابق، ج9، ص599

(2) العريني، مرجع سابق، ص741

IJESA, VSRP Publishing, UK
https://ijesa.vsrp.co.uk
E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n10p2

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)

المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب

Vol. (2), No. (10)

الإصدار (2)، العدد (10)

December 2023

معركة ملاذكرت [1] ٤٦٣ ٣١ هـ /١٠٧١م

ثار الرأي العام البيزنطي منذ التقدم السلجوقي في أراضيهم وطلبوا من الإمبراطور ضرورة التصدي لهذا الخطر ومن ثم جهز جيشاً ضخماً رأى أن تكون وجهته بلاد الشام وذلك لتأديب السلاجقة ودفع خطرهم عن الحدود الشرقية لدولته [2]. ويقول ابن الأثير: خرج أرما نوس ملك الروم في مائتي ألف من الروم والفرنج والغرب والروس والغز والأرمن والبجناك والكرج وغيرهم من طوائف تلك البلاد فجاءوا في تجمل كثير وذي عظيم وقصد بلاد إلب أرسلان أثناء عودة السلطان إلب أرسلان من حلب إلى خراسان، وعند اجتيازه نهر الفرات علم بخروج الإمبراطور رومانوس في جموع كثيرة، ووجد أن المصلحة في لقائه ومواجهته، فلم يتمكن من جمع العساكر لبعدها وقرب العدو فسير الأثقال مع زوجته ونظام الملك إلى همزان وسار هو بمن عنده من العساكر وهم خمسة عشر ألف فارس[3]. أرسل السلطان إلب أرسلان إلى رومانوس الرابع ديو جنس يرغبه في الهدنة واستكبر الإمبراطور البيزنطي قائلاً لا مهادنه إلا بالري، أي في قلب دولة السلاجقة في خراسان، وغضب السلطان السلجوقي. ولم يعد هناك مفر من القتال في الوقت الذي صمم فيه الإمبراطور البيزنطي على وضع نهاية لمشكلة الأتراك وغاراتهم على أراضي الدولة البيزنطية.

وكان اللقاء بين خلاط وملاذ كرت أو مانزيكرت في موضع يعرف بالزهرة شمال بحيرة وان في أرمينية، وذلك في يوم الجمعة ٧ من ذي القعدة ٤٦٣ هـ /٦ أغسطس ١٠٧١ م وقبل المعركة استثار السلطان إلب أرسلان حماس جنده وخاطبهم قائلا : ((أنا احتسب نفسي عند الله وهي أما السعادة بالشهادة وأما النصر (ولينصرن الله من ينصره)[4] وتقدم إليه إمامه وفقيه أبو جعفر محمد البخاري قائلا: (إنك تقاتل عن دين وعد الله بنصره وإظهاره على سائر الأديان، وأرجو أن يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح، فألقهم يوم الجمعة بعد الزوال، في الساعة التي يكون الخطباء على المنابر، فإنهم يدعون للمجاهدين بالنصر، والدعاء مقرون بالإجابة)[5].

(1) ملا ذكرت، وتكتب أيضاً ملاذ كرد وملاذ كرت ومانزكريت ومنازجرد، بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم في أرمينية شمال بحيرة وان أنظر ياقوت الحموي، مصدر سابق، ص116.

(2)ابن الأثير، مصدر سابق، جـ10، ص26-28

(3) عماد الدين الأصفهاني (محمد سيد محمد)، دولة آل سلجوق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1987، ص37.

* سورة الحج، الاية40

(5) المحمدي، مصدر سابق، ص117

IJESA, VSRP Publishing, UK
https://ijesa.vsrp.co.uk

E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n10p2

ويصف ابن الأثير استعداد إلب أرسلان للمعركة، فيقدم صورة للتقاليد العسكرية السلجوقية يقول: فلما كانت الساعة التي صلى يهم، وبكى السلطان، فبكى الناس لبكائه ودعا ودعوا معه وقال لهم: من أراد الفراق فلينصرف فما هاهنا سلطان يأمر وينهى، وألقى القوس والنشاب، وأخذ السيف والدبوس وعقد فرسه، وفعل عسكره مثله، ولبس البياض وتحنط وقال إن قتلت فهذا كفني [1]. كانت قوات إلب أرسلان من الفرسان الرماة، والقوات البيزنطية من الفرسان الثقال مع المشاة، وحمل الإمبراطور جيشه فاندفع المسلمون بين أيديهم واستجروا الروم إلى أن صار الكمين من ورائهم، ثم خرج الكمين من خلفهم، وثار الغبار في ميدان المعركة مما ساعد المسلمين على إنزال القتال بهم فأنهزم الروم وكسرت شوكتهم وامتلأت الأرض بجثث القتلى وأسر ملك الروم، واستولى المسلمون على عساكر هم وغنموا ما لا يعد كثرة ولا يحصى عددا وعدة [2]. طلب السلطان إلب أرسلان من الإمبراطور رومانوس فدية نفسه بعشرة آلاف دينار فأجابه أنه يستحق ذلك، ولكنه كان قد أنفق الكثير من الأموال في تجويد العساكر والحروب وأخيراً استقر الأمر على الهدنة على ثلاثمائة وستين ألف دينار في كل سنة، وإطلاق كل أسير في بلاد الروم وأرسل معه فرقة لحراسته وعشرة آلاف دينار ليتجهز بها ولما انصرف رومانوس رمى ناسه اسمه، ومحو من الملك رسمه، وقالوا هذا من عداد الملك ساقط وزعموا أن المسيح عليه ساخط، واعتبروا أن موقعة ملاذكرت كارثة حلت بالإمبراطورية البيزنطية.

نتائج المعركة[3]

تعتبر ملا ذكرت من أخطر المواقع الحربية التي خاضها المسلمون ضد الدولة البيزنطية وهي من أجل هذا تعد نقطة تحول خطيرة في تاريخ العلاقات الدولية في العصور الوسطى. فقد ترتبت عليها نتائج مهمة في المعسكرين الإسلامي والبيزنطي أثرت على مجريات الأحداث التالية لها.

من أهم نتائجها أنها أكدت أن الجيش البيزنطي قد فقد القدرة على أن يحمي حدود الإمبراطورية الشرقية. وهذا يعود لنقطة أساسية وهي أن الجنود مرتزقة من الصقالبة وغيرهم وكان يعوزهم التدريب الجيد والتنظيم القوي ولم يستطيعوا مقاومة الحركة السريعة للفرسان الأتراك وهجماتهم السريعة المفاجئة، كانوا يحاربون

(1)ابن الاثير، مصدر سابق، جـ10، ص65-66

(2) حسنين محمد ربيع، مرجع سابق، ص188

(3) حسين المعارك والاسر بين العرب والروم، الدار العالمية للطباعة والنشر ص68

IJESA, VSRP Publishing, UK
https://ijesa.vsrp.co.uk
E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n10p2

لصالحهم وليس لصالح بيزنطة ولما وقعت المعركة استجاب الفرسان من الغز والبشناق لنداء رابطة الدم التي تربطهم بالسلاجقة والو لاء القبلي وانضموا لهم[1].

وكان من أهم عوامل الهزيمة هروب القائد أندرونيقوس دوقاس Ducas Andronious من أرض المعركة وهو ابن أخ الإمبراطور قسطنطين العاشر دوقاس وكان رئيساً بارزاً بين الطبقة البيروقراطية من أرباب الأقلام، وأراد أن يضمن مستقبل أسرته بعد أن أبعد الإمبراطور رومانوس أباه عن وظائفه لهذا نشر الإشاعة الكاذبة بهزيمة الإمبراطور وانسحب من المعركة بقواته وكان قائدا لمؤخرة الجيش مما أدى لحدوث الفوضى والاضطراب في الجيش البيزنطي كله أيضا يضاف إلى ذلك بطء حركة الجيش البيزنطي وخفة حركة الجيش السلجوقي[2].

كذلك بات مؤكدا أن القوة الجديدة تتمثل في المد الإسلامي القادم من وسط أسيا ممثلا في السلاجقة، وأن هذا الكيان السياسي الجديد عليه أن يصمد من أجل إثبات وجوده لا في آسيا وحدها وإنما في أسيا الصغرى وبلاد الشام أيضا إذ نجح السلاجقة في فتحها والتو غل فيها ومن السلاجقة في آسيا ثم مهدوا لسقوط الدولة البيزنطية ولم تستطع بيزنطة الوقوف في وجه توسع الصغرى وكانت الأقاليم الشرقية وبخاصة أرمينيا وقبادوقيا على جانب كبير من الأهمية للدولة البيزنطية لأنها أمدتها بكثير من الأسرات الحاكمة وعدد لا حصر له من أمهر الرجال في شئون الحرب والسياسة، وهي التي استقر فيها الأتراك السلاجقة فاعتبر ذلك برهاناً ودليلاً على قرب موت الإمبراطورية البيزنطية ونهايتها.

وساعد السلاجقة أيضاً على التوسع في أسيا الصغرى قيام حرب أهلية جديدة داخل الإمبراطورية فاستولوا على كثير من المواقع المهمة والمدن الأساسية حتى وصلوا إلى مواجهة " فلقد كانت القسطنطينية على ساحل بحر مرمرة حيث استولوا على مدينة كريز ويوس[3] ملا ذكرت قد قررت مصير آسيا الصغرى، كما قررت من قبل اليرموك مصير بلاد الشام، من جهة أخرى لم تكن ملا ذكرت إلا بداية لفوضى داخلية في قلب الإمبراطورية البيزنطية ذاتها فعندما عاد الإمبراطور رومانوس الرابع إلى القسطنطينية واجهته ثورة كبيرة وخلع عن العرش وتولى بعده الإمبراطور ميخائيل السابع الذي أهان الإمبراطور المهزوم وسمل عينيه وتوفي

(1) الأصفهاني: (أبو الفرج علي بن الحسين، ت356هـ/967م)، الأغاني، تخفيف عبد الكريم الغرياوي، الهيئة المفرية العامة، القاهرة د.ت.ص46

(2) عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة، الطبعة الأولى، دار الإرشاد، بيروت197، ص171

(3)المرجع نفسه، ص172

IJESA, VSRP Publishing, UK
https://ijesa.vsrp.co.uk
E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n10p2

رومانوس على تلك الصورة غير الإنسانية على الرغم من شهادة المؤرخين له بحسن الدلاء والشجاعة في لقائه مع المسلمين.

أيضاً كان هنالك الخطر النورماندي الذي هدد الإمبراطورية حين استقروا في جنوب إيطاليا في منتصف القرن الحادي عشر، وبدأوا في التحالف مع البابوية وبقيادة روبرت جي كارد[1]. وقد حاول جورج ماتياكس حاكم إيطاليا البيزنطي وقف التقدم النور ماندي دون جدوى وكان سقوط آخر المدن الإيطالية في أيديهم مدينة باري في الوقت نفسه الذي انهزمت فيه الجيوش البيزنطية ملا ذكرت[2]. هذه الموقعة كانت حرباً بين القوى الإسلامية والقوى المسيحية، وأصبح واضحاً لماذا قامت المسيحية كلها بحرب ضارية ضد المسلمين ولم ينقض على ملا ذكرت عشرون عاما، ففي ١٠٩٥ م كانت البابوية تنادي القوى الأوربية المختلفة بضرورة الحرب ضد المسلمين لأسباب قدموا لها المبررات المختلفة وهي أن الحروب الصليبية رد فعل طبيعي للكارثة التي حدثت في ١٠٧١ م وسخط مسيحي لهذه الهزيمة فلأول مرة يقع الإمبراطور البيزنطي نفسه أسيرا في أيدي المسلمين الفاتحين. وقد بذل الأباطرة البيزنطيون فيما بعد محاولات مستمرة لإنقاذ الإمبراطورية، ومحاولة إحياء قوتها السياسية وخاصة في عصر الأسرة الكومنينية[3]. عندما توغل السلاجقة في آسيا الصغرى بعد ملا ذكرت انتقلت هذه البلاد من الحضارة اليونانية والديانة والآداب المسيحية إلى العقيدة والحضارة الإسلامية وما تحمله من نظم وآداب وكان لابد من حدوث اندماج بين السكان الأصليين والمهاجرين ولم يجد السلاجقة سوى مقاومة ضعيفة فعاشوا واندمجوا مع السكان الأصليين، وحدث تزاوج بينهم حيث تزوج أحد الأبطال الأتراك سيدي غازي Ghazi Seidi من أميرة مسيحية يونانية ولعل منشأ تلك الأسطورة هو إعطاء الصفة الشرعية لما حدث في آسيا الصغرى، ونلاحظ أن سكان أسيا الصغرى قد آثروا حكم الأتراك السلاجقة على حكم الإمبراطور البيزنطي مما يدل على تعرضهم للاضطهاد والقوة. كما أن اختلاف السلالات البشرية واللغوية في آسيا الصغرى كان لها تأثير في إضعاف المقاومة أمام الأتراك السلاجقة على الرغم من أن اللغة اليونانية كانت لغة أغلبية سكان المدن إلا أنها كانت بطيئة الانتشار في الأقاليم الزراعية حيث تمسك المزارعون إلى حد ما بلغتهم وبلهجاتهم الآسيوية حتى الغزو السلجوقي[4].

(1) المرجع نفسه، ص 173

(2) عمر كمال توفيق، مرجع سابق، ص173

(3)فتحية النبراوي، ص69، العلاقات السياسية الإسلامية وصراع القوى الدولية في العصور الوسطى1000-1300م – مكتبة وهبة القاهرة

(4) حسنين محمد ربيع، مرجع سابق، ص190.

IJESA, VSRP Publishing, UK
https://ijesa.vsrp.co.uk
E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n10p2

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)

Vol. (2), No. (10)

IJESA

December 2023

المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب

الإصدار (2)، العدد (10)

العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والمسلمين ١٠٧١ – ١٠٨٧م

على الرغم من مقاومة بيزنطة إلا أنها انتهت وضعفت، وأقيمت دويلات تركمانية مستقلة تحت حكم الأتراك وزعامتهم السلاجقة في جهات كثيرة من آسيا الصغرى والشام وكانت عاصمتهم قونية.

أما في القسطنطينية فقد تولى الحكم الإمبراطور ميخائيل دوقاس ابن الإمبراطورة أيد وكيا Eudocia من زوجها الأول قسطنطين دوقاس (٤٦٣ هـ/ ١٠٧١ م -٤٧١ هـ/ ١٠٧٨م) كان مغرماً بالآداب والجدل العلمي وكتابة النثر دون الاهتمام بالنشاط العسكري[1] في وقت كانت الإمبراطورية في أشد الحاجة إلى قائد عسكري للوقوف في وجه السلاجقة.

حاول الإمبراطور ميخائيل السابع الاستنجاد بالبابوية حيث اتصل بالبابا جريجوري السابع ووعده في مقابل مساعدته بالعمل على إزالة القطيعة بين كنيستي روما والقسطنطينية ولكن البابوية انشغلت بالنزاع بينها والإمبراطورية حول مشكلة التقليد العلماني[2]. أخيرا عقد الإمبراطور ميخائيل اتفاقية مع القائد السلجوقي سليمان بن قطلمش الذي آلت إليه القيادة العسكرية للسلاجقة في آسيا الصغرى وكان والده ابن عم طغرل بك وأقر الإمبراطور في هذه المعاهدة بحق السلاجقة في حكم الأقاليم التي استولوا عليها من بيزنطة في آسيا الصغرى، واستولى سليمان على الجزء الأوسط من آسيا وأسس سلطنة الروم وأصبحت عاصمتها أغنى وأجمل مدينة قومية Lconium واستمر السلاجقة في التحرك والتوسع ناحية الغرب ولم يكن في مقدرة القوات البيزنطية مقاومتهم[3]. عزل ميخائيل وتم تعيين نقفور الثالث ولمدة ثلاث سنوات (٤٧١ هـ/ ١٠٧٨م- ٤٧٣ هـ /١٠٨١م) الذي لم يستطيع إدارة الدولة أو حل مشاكلها الداخلية والخارجية وذلك لكبر سنه وضعف بنيته، ولقد نجح بالفوز بالإمبراطورية الكسيوس كومنين (وهو ابن أخ الإمبراطور السابق إسحاق كمنين وكان ينتمي بصلة قرابة لأسرة دوقاس الحاكمة)[4]. انتهز سليمان بن قطلمش في سنة ٤٧٧ هـ /١٠٨٤م فرصة ضعف البيزنطيين واستولى على أنطاكية ومواضع عدة وصارت الحدود من نيقية إلى طرابلس وملك

(1) المرجع نفسه، ص193.

(2) سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، دار المعرفة الجامعية 2016، ص331-332

(3) اسعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون مرجع سابق ص332

(4) المرجع نفسه، ص332

IJESA, VSRP Publishing, UK
https://ijesa.vsrp.co.uk

E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n10p2

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)

المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب

Vol. (2), No. (10)

الإصدار (2)، العدد (10)

December 2023

الثغور الشامية [1] ولكن الإمبراطور الكسيوس كان مشغولا بحربه مع البشناق في الشمال وذلك حاول طلب المساعدة من الغرب الأوربي كما فعل الإمبراطور السابق ميخائيل سابقا، ولذلك أدعى الإمبراطور أن الأتراك المسلمون يقتلون المسيحيين ويرتكبون المحرمات وطلب من صديقه روبرت الأول، كونت فلندرز Robert of flanders المسمى بالفريزي Frisian (٤٦٣ هـ/١٠٧١م - ٤٨٥ هـ / ١٠٩٣ م) أن يسرع في تقديم المساعدة قبل أن تسقط القسطنطينية في أيدي المسلمين السلاجقة والقيام بإعداد حملة حربية كبيرة ضد المسلمين مثل الحملة الصليبية ضد المسلمين في الشرق. وتولى هذه الحملة البابا أوربان الثاني Urban II الذي طلب من جموع المسيحين الأوربيين حمل السلاح لتحرير بيت المقدس ومساعدة المسيحيين الشرقيين وبالتالي شن الهجوم على ديار الإسلام والمسلمين.

[2]انزعج الإمبراطور الكسيوس كومنين عندما وصلته أخبار الحملة بقيادة بطرس الناسك وما قامت به من النهب والسلب والدمار في طريقها إلى القسطنطينية، وبالتالي نظر الكسيوس إلى جموع حملة البابا مثل البشناق والسلاجقة الذين أغاروا على بيزنطة.

إذ أن فكرة الحركة الصليبية كانت غريبة بالنسبة لبيزنطة في أواخر القرن الحادي عشر ولم يكن لدى البيزنطيين سوى رغبة وحيدة هي التخلص من الخطر السلجوقي. على مقربة من نيقية قضى الأتراك السلاجقة على هذه القوات الصليبية وعاد بطرس الناسك إلى القسطنطينية.

معركة ١١٧٦م

اتصفت علاقات بيزنطة بالسلطان السلجوقي قلج إرسلان بالود لبضع سنين وفي سنة ١١٦١ ٠١٦٢ م زار السلطان السلجوقي مدينة القسطنطينية حيث استقبل استقبالاً حافلاً وقضى فيها ثمانين يوما شاهد فيها ثروات العاصمة البيزنطية وكنوزها، أيضاً شاهد استعراضات كثيرة أقيمت في شرف السلطان بعضها استعراضات بحرية، وشاهد فيها عرضا للنيران الإغريقية. ولم تكن النتائج السياسية لزيارة قلج أرسلان للقسطنطينية ذات أهمية كبيرة فقد تم عقد معاهدة صداقة لم تستمر سوى وقت قصير، انتهز السلطان

(1) حسنين محمد ربيع، مصدر سابق، ص179

(2) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية صفحة مشرفة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، ج1، الطبعة الرابعة، مكتبة المصرية 1986م، ص29-32

IJESA, VSRP Publishing, UK
https://ijesa.vsrp.co.uk

E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n10p2

قلج أرسلان فرصة انشغال مانويل كومنين في سياسته مع إيطاليا وألمانيا وقام بالقضاء على منافسيه الدانشمند أمراء قبادوقيا المسلمين لكي يجعل قوة السلاجقة مصدر تهديد خطير للدولة البيزنطية مرة أخرى.

ودخل فردريك بربروسا في مفاوضات مع سلطان قونية السلجوقي وحرضه ضد الإمبراطور وكان غرضه هو تحويل انتباه الإمبراطور مانويل كومنين عن التدخل في شئون أوربا. وخرج في سنة ١١٧٦م مانويل كومنين على رأس حملة لمهاجمة العاصمة قونية، أثناء مروره في أحد ممرات فريجيا حاصر السلاجقة الأتراك الجيش البيزنطي وعند بلدة مريوكيفالون Myriocephalan جرت معركة مهمة ١٧ سبتمبر ١١٧٦ م وهزم السلاجقة البيزنطيين هزيمة ساحقة ونجا الإمبراطور البيزنطي بصعوبة، ووصف الأستاذ Vryonis هذه المعركة بأنها كانت ملا ذكرت ثانية للعسكرية البيزنطية.

من أهم نتائج هذه المعركة[1]

أولا: بيزنطة فقدت في يوم واحد (١٧ سبتمبر ١١٧٦م) كل المكاسب السابقة التي عمل من أجلها الأباطرة السابقون.

ثانيا: وضعت هذه المعركة نهاية لسيادة بيزنطة على أسيا الصغرى إلى الأبد.

ثالثا: قبل مانويل شروط السلطان قلج أرسلان وتم تدمير بعض التحصينات البيزنطية في أسيا الصغرى[2].

وأخيراً أقلع البيزنطيون عن تحقيق أي أمل لطرد السلاجقة الأتراك، وفي السنوات الباقية توغلت القبائل التركمانية وتوالت متتبعين الأنهار واستقروا الجبال حتى مصبات الأنهار في البحر الأيجي وأخذ الكثير من الأموال ما يجاوز الإحصاء، وأحسن السلطان إلى الرعية وأشاع فيهم العدل وأمرهم ببناء ما تم تخريبه، ومنع أصحابه من النزول في دورهم ومخالطتهم.

انصرف الأتراك السلاجقة لتوطيد سلطانهم هذا فيما كان الغرب يعد العدة للقيام بالحروب الصليبية وتسارعت الأحداث، وأقبلت جحافل الحملة الصليبية الأولى بل وبدأت الحروب الصليبية[3].

(1) Vrounis, Byzantium, the social Basic of Dedline In the11, London, (1959) p.144

(2) بسام العسلي، فن الحرب الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت1988م، ص352.

(3) المرجع نفسه، ص352.

IJESA, VSRP Publishing, UK
https://ijesa.vsrp.co.uk
E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n10p2

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)

المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب

Vol. (2), No. (10)

الإصدار (2)، العدد (10)

December 2023

الحروب الصليبية

يطلق اصطلاح الحروب الصليبية على الحملات التي وجهها مسيحيو أوربا إلى المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) إلى القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) للاستيلاء على الأراضي المقدسة في فلسطين خاصة القدس، يرجع ذلك إلى عوامل دينية وسياسية واقتصادية وحضارية والتي تعتبر أول تجربة في الاستعمار الغربي قامت بها الأمم الأوربية خارج حدودها لتحقيق مكاسب اقتصادية وغيرها، وقد نجحت أولى الحملات الصليبية في الأراضي المقدسة سنة (٤٩١ هـ / ١٠٩٨م) في تأسيس أربعة إمارات لاتينية هي مملكة بيت المقدس، وإمارة طرابلس، وإمارة أنطاكية، وإمارة الرها (1) وهنا لابد أن نوضح حالة الفوضى والتنافس على السلطة التي كان يمر بها الشرق الإسلامي مما أدى إلى عدم استطاعة المسلمين توحيد صفوفهم لدرء الخطر الصليبي.

كان السلاجقة الأتراك في بلاد الشام والجزيرة قد كونوا إمارات تنازعوا فيها فقد توفي السلطان محمود السلجوقي سنة ٥٢٥هـ وحصل تنافس على السلطان بين إخوته مسعود ابن السلطان محمد، وسلجوق شاه طغر لبك، وبين عمهم سنجر بن السلطان ملك شاه، وداؤود ابن السلطان محمود الذي كان قد أوصى له أبوه بالسلطان من بعده، فطالب كل منهم الخليفة أبا منصور فضل المسترشد بالله (٥١٢هـ /٥٢٩هـ، ١١١٨م / ١١٣٥م) أن يخطب له في بغداد ويعترف بسلطانه على السلاجقة، إلا أن الخليفة مال إلى سلجوق شاه وخطب له في بغداد. فاستعان الملك مسعود بعماد الدين زنكي لإعانته على الخليفة.

[1]استمرت الصراعات بين السلاجقة من جهة والسلطان العباسي من جهة أخرى ومع عماد الدين زنكي من جهة أخرى انتهت بمقتل الخليفة العباسي المسترشد بالله على يد السلطان مسعود السلجوقي. تولى الخلافة بعده الخليفة أبو جعفر منصور الراشد بالله العباسي (529هـ/1135م-530هـ/1136م) وجاء عماد الدين زنكي إلى بغداد سنة ٥٣٠هـ إلى نجدته والثأر لمقتل الخليفة المسترشد باشه إلا أن السلطان مسعود عاد بجيش كبير وحاصر بغداد فخرج الخليفة الراشد متخفيا مع عماد الدين زنكي إلى الموصل ودخل السلطان مسعود بغداد وخلع الر اشد وعين مكانه الخليفة أبو محمد المقتفي لأمر الله بن المستظهر ٥٣٠هـ إلى٥٥٥ هـ/ ١١٣٦-١١٦٠م والذي أخرج السلاجقة من بغداد واقتصر نفوذهم ونشاطهم في فارس وهمذان وخراسان

(1) سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون تاريخ الدولة البيزنطية، ص28

IJESA, VSRP Publishing, UK
https://ijesa.vsrp.co.uk

E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n10p2

وبعض الأجزاء من بلاد الروم وبالتالي لم يسمحوا لهم بالعودة إلى بغداد وانقطع نفوذهم في الشام والجزيرة على يد نور الدين زنكي.

الواقع أن الأمور تدهورت بين الزعامة السلجوقية والخلافة العباسية والنزاعات التي طالت مدتها دون حسم أثرت تأثيرا سلبيا على الطرفين وأضعفت قوتهما لذلك أهملوا الدفاع عن البلاد الإسلامية من الخطر الصليبي بل شغلوا عماد الدين زنكي عن مواصلة جهاده ضد الصليبين وقد قضى على القوة الصليبية بواسطة صلاح الدين الأيوبي.[1]

من النتائج المباشرة لهذه الحروب أنها أثرت على العلاقات السياسية الخارجية حيث تكاتفت جميع الدول الأوربية لغزو بلاد الشام واستغلاله على الرغم من أنها حرب عسكرية في المقام الأول ومن النتائج أيضاً تأثيرها على الاقتصاد الزراعي في البلاد فقلت المنتجات الزراعية وما أحدثه الجنود من فساد وإهمال في الأراضي الزراعية وهروب المزارعين من أراضيهم كل ذلك أدى إلى انتشار المجاعة والأمراض، أما النتائج الإيجابية التي حققتها الحروب الصليبية، ساهمت في تطور العلاقات الثقافية والاجتماعية والحضارية وعرفت العالم الخارجي بالعالم الإسلامي فلقد كانت بلاد الشام في فترة الحروب الصليبية تعد أحد المعابر لدخول الحضارة الإسلامية إلى أوربا إضافة إلى اختلاط الشعوب والتقائها مع الجنود الصليبيين الذين استقروا في المقاطعات التي استولوا عليها، والمدن التجارية الشامية حاولت الاحتفاظ بمكانتها بوصفها مراكز للتبادل التجاري. فشل السلاجقة في الاستمرار والتصدي لأعداء المسلمين يعود إلى انتشار روح الحسد والطمع وانعدام الثقة بين أمرائهم وكثرتهم فافتقرت أعمالهم لروح الجماعة والتنسيق وعدم التخطيط.

الجيش والطرق القتالية

يستفاد من حروب السلاجقة وأعمالهم أن وقت الحرب عندهم كان معظم أيام السنة، ولكن في الشتاء يعودون إلى أماكن إقامتهم حتى نهايته ودوافعهم في الغزو والحرب كانت إما رغبةً في الجهاد أو طمعاً في الغنائم فإن طال مقامهم دون أن يحققوا مكاسب مادية تفرقوا وعادوا إلى بلادهم.

(1) المرجع نفسه، ص2.

IJESA, VSRP Publishing, UK
https://ijesa.vsrp.co.uk
E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n10p2

[1]طريقتهم في القتال كان الأمير يقسم عساكره إلى فصائل معينة منهم الفرسان والمشاة والنفاطون [2]والنقابون [3]والمشاة وكل فئة لها دورها في القتال، كانوا يلبسون الزردية والخوذة وأحيانا ملابس للحصار غير قابلة للاحتراق.

[4]يلاحظ من الحروب التي خاضوها مع البيزنطيين والصليبيين وغيرهم أن السلاجقة كانوا يفضلون حرب الصحراء حيث كانوا يستدرجون خصومهم لأماكن معينة وينهكونهم من خلال الكر والفر لإيقاعهم في الكمين والقضاء عليهم وأعتقد أن طبيعة السلاجقة البدوية هي التي أكسبتهم هذه الخبرة القتالية إضافة إلى خفة حركتهم وسلاحهم الذي يتكون من السيوف والرماح والسهام، ولكن لاحقا استخدموا آلات الحصار مثلاً. نيق والعرادات وبعد أن طال مقامهم في بلاد العرب تمرنوا على فنون القتال وعرفوا الحصون وبناء الأسوار لذلك تطورت أساليبهم.

السلاجقة أثبتوا كفاءتهم القتالية في بداية أمرهم قبل أن تدخل الخلافات إلى صفوفهم ففرضوا أنفسهم في مناطق واسعة من البلاد ذلك يعود إلى كثرة عددهم وحاجتهم إلى موطن يستقرون فيه ثم استعان بهم الخليفة القائم بأمر الله للقضاء على الخارجين عليه وسلم لهم الإدارة العسكرية والسياسية في البلاد وتوسعوا وتصدوا للحروب الصليبية ما يزيد عن نصف قرن من الزمان كما اشترك العرب والأتراك من المزارعين من أهالي الشام والجزيرة في الحرب.

الخاتمة

المرحلة المهمة في تاريخ الدولة العباسية هي ظهور الأتراك السلاجقة بوصفهم قوة عسكرية جديدة لها دور في تغيير الأوضاع السياسية الداخلية في بلاد الشام والخارجية الخاصة بالدولة البيزنطية.

(1) سهيل الذكار، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق، 1975م، ط3، ص77

(2) الذين يرمون النيران داخل الحصون.

(3) الذين يحسنون نقب الأسوار وفتح الثغرات تمهيداً للدخول.

(4) سهيل الذكار، مرجع سابق، ص70

IJESA, VSRP Publishing, UK
https://ijesa.vsrp.co.uk
E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n10p2

تميز قادة السلاجقة ومنهم طغرك بك والسلطان ألب أرسلان بكفاءة قيادية عالية برزت من خلال تنظيم شبكات الاستطلاع والجاسوسية علاوة على الكفاءة القتالية واستنفار كل المواهب الخيال والعقل بطريقة ناضجة للوصول إلى النصر.

ورغم أن الحروب كانت مستديمة لفترة طويلة إلا أن خط الحدود العربي الرومي لم ينفذ حيث كانت عبارة عن نقاط محصنة تبدأ من طرطوس ثم تمتد شرقاً أضنه على نهر سيحان والمصيصه، ثم الشمال الشرقي في مرعش، أم القسم الجنوبي (الشامي) يدعى العواصم، أم الحصون في شمال الجبهة فكانت تدعى الثغور.

كان كل خصم يسعى لإضعاف خصمه مستقلاً الأوضاع الخاصة في أرض العدو فالنسبة لدولة السلاجقة فقد استفادت من الخلاف الديني والسياسي فالإمبراطورية البيزنطية وأعدوا تنظيم قواتهم العسكرية كذلك تمثل الحروب الصليبية فكرة مهمة في التاريخ العباسي وفي تاريخ العلاقات لما أحدثته من نتائج سياسية واقتصادية واجتماعية في الدولة.

نلاحظ كذلك أن الحروب بين الدولتين لم تغير في شكل العلاقات بين السلاجقة والروم والتي لم تتميز بصفة الخصومة الدائمة، بل كانت أحياناً أقرب إلى التودد وبمعنى أصح ما بين مد وجزر ولا سبيل سوى ذلك لإن الاتصال قائم بينهما بحكم الظروف الجغرافية والتاريخية والثقافية وبالتالي خلصت الدراسة إلى عدة توصيات تتلخص في الاتي: -

ضرورة اهتمام الباحثين بدارسة العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية مع الشعوب الأخرى للوقوف على النتائج المهمة لذلك الاتصال، تكثيف الجهود من قبل الباحثين لدراسة التاريخ الاقتصادي والتجاري لتسليط الضوء على موقع العرب الاستراتيجي والدور المتميز والحضاري الذي ساهم في تطور العلاقات بين الشرق والغرب وأخيراً ضرورة تمحيص ما ورد في المصادر الأوروبية حول العلاقات البيزنطية في العصر العباسي ومقارنتها مع ما ورد في المصادر العربية لإثبات صحة النسب العربي لها ومدى تأثيرها في العالم الأوروبي.

IJESA, VSRP Publishing, UK
https://ijesa.vsrp.co.uk
E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n10p2

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر العربية

1. ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن على ابن أبي الأكرم محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت630هـ /1332م) الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت 1965م.
2. الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين ت356هـ /976م) الأغاني، تحقيق عبد الكريم الغرباوي، الهيئة المصرية العامة.
3. المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي ت845هـ المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والأثار.
4. الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ت6526هـ، 229نم) معجم البلدان دار إحياء التراث العربي، 1957م.
5. الحسيني (صدر الدين علي بن ناصر) زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، دار أقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، ط1985م.

ثالثاً: المراجع العربية

1. أرشيد يوسف راشد: سلاجقة الشام والجزيرة في القترة بين 435-570هـ عمان 1988.
2. بسام العسلي: فن الحرب الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر للطباعة والنشر في بيروت 1988.
3. حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية 1983م.
4. رضا السيد حسين: المعارك والأسر بين العرب والروم، الدار العالمية 1985 م.
5. سعيد ذكار: مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق، 1975م.
6. سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، دار المعرفة الجامعية 2016م.
7. سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية حركة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، ج1-الطبعة الرابعة، مكتبة الأنجلو المصرية 1986 م.
8. السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية 323هـ ،1081م، دار النهضة المصرية 1960 م.
9. عمر كمال توفيق: تاريخ الدولة البيزنطية، الطبعة الأولي، دار الإرشاد بيروت 1970م.

E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n10p2

10. فتحية النبراوي: العلاقات السياسية الإسلامية وصراع القوى الدولية في العصور الوسطى 1000-1300م، مكتبة وهبة للطباعة والنشر 1982م.

رابعاً: المراجع المعربة

1. استانلي بول: معجم الأسر الحاكمة، ترجمة أحمد السعيد سليمان، المجلد الأول، مكتبة لبنان 2004م.
2. أرمينيوس فاميري: تاريخ بخارى، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر القاهرة 1965م.
3. كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، دار العلم للملايين 2005م.

خامساً: المراجع الأجنبية

- Yruonis Byzantium, the social Basic of decline in the11, London,1959.

E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n10p2